«دم النخل» يوثق تضحية خالد الأسعد ويستحضر عظمة زنوبيا

نجدة أنزور: صناعة ذاكرة سينمائية للحرب على سورية

مراد شاهين: تدمر تختزل جزءاً من حضارة العالم

نجدة أنزور

من المؤتمر الصحفي

هيام الحموي: رسائل الفيلم الإيجابية وصلت بسهولة للمتفرج السوري

وائل العدس- تصوير طارق السعدوني

في وقت قياسي، وبظروف صعبة، أنجز المخرج الكبير نجدة أنزور ملحمة سينمائية جديدة عرّى فيها تنظيم «داعش» الإرهابي ومن ورائه الدول الداعمة للإرهاب، وما أكثرها، وجسد بطولات الجيش العربي السوري، وأضاء على التضحية الكبيرة التي قدمها الشهيد خالد الأسعد.

مساء الإثنين، قدّم أنزور منتجه السينمائي الجديد أمام كوكبة كبيرة من الصحفيين في بادرة أعادت الذاكرة إلى سينما أيام زمان، وتحديداً عندما كان القائمون على الفن السابع حريصين على تخصيص العرض الأول للإعلام والمسمى بعرض «بروفة جنرال».

وصور الفيلم خلال ٢٥ يوماً فقط بين مدينتي ريف دمشق وتدمر، ويمتد لساعتين مشوقتين من الأحداث مع مزيج من التوثيق والدراما.

وتبدأ العروض الجماهيرية للفيلم في الخامس عشر من الشهر الجاري وتستمر لشهر.

البطولات الجسام

الفيلم يتحدث عن أبرز أوابد المدينة الأثرية التي دمرها تنظيم «داعش» الإرهابي، ويوثق سيرة حياة عالم الآثار الشهيد خالد أسعد الذي أعدمه هذا التنظيم الإرهابي وهو يدافع عن كنوز مدينة تدمر رافضاً المغادرة وتركها للسلب والنهب، فدفع روحه ثمناً لذلك.

كما يتحدث عن البطولات الجسام التي ساهمت في تحرير تدمر من الإرهاب، متناولاً الجرائم التي ارتكبها التنظيم الإرهابي بحق الأوابد الأثرية، وكاشفاً المخطط الهمجي الذي كان وراء تدمير أبرز معالم المدينة الأثرية ومن يقف وراءها.

كما يستحضر الفيلم شخصية وعظمة الملكة زنوبيا مع الطفل خالد الأسعد من خلال التلاقي ما بين الماضي والحاضر.

نخيل تدمر

لشجرة النخيل في تدمر قيمة تاريخية واقتصادية، لكنها تضررت بنسبة لا يستهان بها بسبب همجية الإرهابيين، فنزفت حزناً وكمداً مثلها مثل الأوابد الأثرية التي نهبت ودمرت.

ويعتبر التمر التدمري من أجود أنواع التمور بالعالم رغم مناخ المنطقة الصحراوي القاسي والأمطار الشحيحة حيث أطلق على تدمر مدينة النخيل كما يؤكد اسمها المحرف (تاد/مور) أي بلد النخيل كما سميت بالميرا وتعني النخيل.

وقد نشأت واحة النخيل في تدمر منذ آلاف السنين وكانت استراحة ومحطة للقوافل التجارية بين العراق والشام.

واهتم التدمريون كثيراً بشجرة النخيل واعتنوا بها عناية فائقة وأصبح لدى معظم المزارعين خبرة في رعايتها إلا أن اعتداءات الإرهابيين وسرقة مضخات وأنابيب مياه الآبار أديا إلى تراجع عدد الأشجار والثمار.

اسم الفيلم يختصر حكاية تلك الأشجار التي نزفت لكنها بقيت صامدة وحافظت على وجودها وإنتاجها رغم كل ما عانته من حرق وتخريب.

حضارة العالم

خلال مؤتمر صحفي عقدته أسرة الفيلم بعيد عرضه، أكد مدير المؤسسة العامة للسينما مراد شاهين أنه من واجب هذه المؤسسة تسليط الضوء على التضحيات التي قدمها الجيش العربي السوري في سبيل تحرير الأراضي السورية من القوى الإرهابية الظلامية.

وأشار إلى أن الفيلم يسرد أحداث أحد أهم مفاصل الحرب الإرهابية على سورية، خاصة أن تدمر تختزل جزءاً كبيراً من حضارة العالم وليس سورية فقط.

وكشف أن الإنتاج جاء بالشراكة مع مؤسسة نجدة أنزور لتشجيع القطاع الخاص على الدخول في عملية الإنتاج السينمائي، وفي الوقت ذاته لتجاوز الكثير من العراقيل التي تواجهها المؤسسة في تنفيذ مفاصل العملية الإنتاجية والفنية.

وأكد أن المؤسسة كانت وستواصل إنتاج هذا النوع من الأفلام لتوثيق هذه الأحداث التي جرت في هذه المرحلة المهمة من تاريخ سورية وتقديراً لتضحيات الشهداء.

ذاكرة سينمائية

بدوره قال المخرج نجدة أنزور إن الفيلم يصب في صناعة ذاكرة سينمائية للحرب على سورية، مشدداً على ضرورة التركيز على ما تتعرض له سورية لتكون بمثابة وثيقة مستقبلية للأجيال القادمة.

وأكد أنه قدم مفهوم الشهادة في سبيل الوطن ومركزاً في الوقت نفسه على استمرار الحياة بفضل تضحيات الجيش العربي السوري، إضافة إلى إبراز شخصية العالم الشهيد خالد الأسعد الذي رفض أن يخرج من تدمر وفضل الموت مرفوع الرأس.

أنزور قال بأن إرادتنا كصناع للفيلم اتجهت نحو تخليد معنى الشهادة وهي الثيمة الأساسية للفيلم، مؤكداً أن استمرار الحياة الطبيعية في وطننا الحبيب ما هو إلا نتيجة طبيعية لجهود هؤلاء الشهداء، وركزنا في الفيلم على شخصية العالم الشهيد خالد الأسعد الذي قام بفعل وطني عظيم برفضه التعاون مع داعش.

كما أكد المخرج أن أهم رسالة وردت في الفيلم هي ما جاء في التلمود اليهودي عن الشر الذي يضمره أصحابه لتدمير سورية والمنطقة العربية بكاملها وتجلى ذلك من خلال وجود «داعش» وأمثالها.

وركز على ضرورة فضح الدول الداعمة للإرهاب وما قامت به بحق البشر والحجر من تخريب وسلب ونهب، مع الإضاءة على بطولات الجيش العربي السوري في صد العدوان العالمي.

وكشف أن رسالة الفيلم بأن هناك من يستشهد كرمى البلد ليكمل الباقي الطريق.

رسائل عميقة

أما الكاتبة ديانا كمال الدين فأوضحت أنها ابتعدت عن التوثيق إلا بالأحداث المتعلقة بشخصية الشهيد الأسعد، مبينة أن الفيلم يتضمن رسائل إنسانية ووطنية عميقة للداخل والخارج.

وبينت أن قصص الجنود الثلاثة الذين استشهدوا في نهاية الفيلم اختزلوا قصصاً لمئات الأبطال والشهداء في الجيش العربي السوري.

العوالم الداخلية

وبين المؤلف الموسيقي رعد خلف أن السينما صناعة والموسيقا هي أحد مكوناتها الأساسية لإيصال الإحساس للمشاهد، وحاولنا من خلالها رصد العوالم الداخلية لإيصال ما يواردهم من أفكار وقلق وحنين.

عمر الفرا حاضراً

في حديثه لـ«الوطن»، علق الزميل نزار الفرا على أشعار والده، الشاعر الكبير الراحل عمر الفرا التي كانت حاضرة خلال أحداث الفيلم وأضفت جمالية ورمزية في المكان والزمان المناسبين.

وشدد الفرا على أن اختيار شعر والده من القائمين على الفيلم كان دقيقاً ومناسباً لعدة اعتبارات، أولها الاعتبار المكاني والجغرافي بحكم أن والده ابن هذه البيئة التدمرية، فتم توظيف شعره واستثماره بالحدث عن مواضيع تتعلق بتدمر، خصوصاً أننا كما لاحظنا أن الأجيال تتناقل وتحفظ شعره من كل مناطق سورية، حيث أدى الجنود الثلاثة الأبطال مقاطع من هذه القصائد وكانوا يحفظونها غيباً وهم أبناء محافظات وبيئات مختلفة.

وتحدث الفرا عن الاعتبار الثاني المتعلق باختيار نوعية القصائد وطبيعتها الذي اتسم بالدقة أيضاً، حيث كما هو معروف يقسم شعر عمر الفرا إلى قسمين، الشعر المحكي العامي والشعر الفصيح، فكان اختيار النوع الأول لإعطاء دلالة مكانية، واستخدمت مقاطع من أربع قصائد يجمعها عامل مشترك بأن فيها شيئاً من العنفوان والعزة والتحدي مثل قصيدة «حمدة» التي تمثل تحدياً للعادات والتقاليد والموروثات السيئة.

وقال إن أداء الجندي لقصيدة «الثأر» جاء كتحد للمجتمع أيضاً، ووظفت في مكانها الصحيح خاصةً عندما يقول: «اغلي السمن يما، اغلي السمن تيشتعل، واحمي حديدة عالجمر، صبي السمن جوا الجرح، ما تنحمل، نار تعلق جوا الجرح، وبي الصوت، وانعي للبشر كلهم، وليدك يا يما، فارس وميت غدر»، وبالفعل هذا الجندي كان فارساً وقتل غدراً على يد والد صديقه.

وأضاف: في المقطع الثالث الذي ردده الجندي التدمري، استخدمت قصيدة «الذيب» وفيها الكثير من العنفوان، وهي ليست من القصائد المشهورة ومن وظفها بحث مطولاً لتناسبها مع حال الجندي الجريح في قلب الصحراء فيقول: «اقنص معي يا ذيب، جوعك مثل جوعي، يا نفترس هالليل يا يطحنو ضلوعي، حلو الصبر يا ذيب، حين الدهر يرخم، لما العتم يلتم، تبكي!، ليس البكا يا ذيب، خلي الدمع غالي».

وختم الحديث عن قصيدة «الوطن» الشهيرة التي هي بالأساس وصية من أب لابنه ليتمسك بوطنه ويحبه، فأوضح: استخدم المخرج هذه القصيدة بكل معانيها وتفاصيلها في المشهد الختامي على المسرح الروماني استخداماً دقيقاً، مع تسليط الضوء على من بقي أحياء من أبطال الفيلم بوجود الطفل الذي يرمز إلى استمرار الحياة والتحدي عند الأجيال القادمة، حيث هناك من ضحى ليعيش هذا الطفل وسواه.

مقومات النجاح

في تصريحها لـ«الوطن»، قالت الزميلة هيام الحموي: قرابة ساعتين لم أشعر بلحظة ملل ولم أفكر بالنظر إلى ساعتي، هي متعة الفرجة المتكاملة ما بين أداء الممثلين المنتقين بعناية، و«هضامة» الحوار والسرد المطعّم بالأشعار الجميلة لشعراء سورية المبدعين، عمر الفرا ونزار قباني.. ما أعطانا فكرة عن فداحة خسارة الوطن لشبابه الأنقياء.

وأضافت: هنالك إتقان لمختلف مقومات نجاح الفيلم السينمائي بشكل عام، ما بين الموسيقا والتصوير والديكور والملابس وحتى اللهجة المحكية المتنوعة تنوع المكوّن البشري في أرض سورية، وكذلك تنوعها لدى الدواعش المرتزقة القادمين من مختلف الانتماءات الدولية، كما أن عنصر التشويق كان حاضراً بقوة من دون إطالة.

وأكدت أنه لم يكن هنالك فجاجة في تصوير المشاهد العنيفة التي كان لا بد من حضورها في سياق السرد، مشيرة من جهة أخرى إلى أن مرور شخصية زنوبيا «السوريالي» كسر فيض الواقعية الذي كان يمكن أن يكون شديد الإيلام، وشخصية خالد الأسعد آسرة.

وختمت: باختصار رسائل الفيلم الإيجابية وصلت بسهولة وبساطة للمتفرج السوري، لكن ربما لن تصل بالسهولة ذاتها لمشاهد لم يعش هذه المرحلة، فبعض التفاصيل ليست بديهية للغريب عن يومياتنا، مثلاً دلالة حلاقة الشنب لدى شخصية الشيخ «الخائن»، بمعنى أنه إذا كان من أهداف الفيلم أيضاً التأثير على متفرج غير سوري، فالأمر لن يكون سهلاً... لكن بالمجمل، بالنسبة لي كسورية بكل خلايا كياني، وكعاشقة للسينما، أعترف بأني استمتعت جداً بهذا الفيلم وشكراً لصانعيه.

بطاقة الفيلم

إخراج: نجدة إسماعيل أنزور
كتابة: ديانا كمال الدين
تمثيل: لجين إسماعيل- جوان خضر- مصطفى سعد الدين- جهاد الزغبي- محمد فلفلة- عدنان عبد الجليل- مجد نعيم- عامر علي- قصي قدسية- محمود خليلي- ليلى بقدونس- سيوار داود- حمادة سليم- نبيل فروج- إيمان عودة- مجدي مقبل- ياسر سلمون- فادي عبد النور- علي الماغوط- أوس وفائي- نور خلف- محمد الويسي- والطفل علي السملوتي.

محمد فلفلة في دور خالد الأسعد

نزار الفرا: اختيار شعر عمر الفرا كان دقيقاً ومناسباً

نافذة

تمكين الشباب

غدا أكثر من ضرورة، وعلى الدولة أن تتجه إلى وضع الخطط والبرامج التي تستند إلى العلمية المنهجة، التي تتطلع إليهم على أنهم شركاء إستراتيجيون في بناء الوطن، عبر إشراكهم فعلياً لا وهمياً في عمليات بناء مرافق فكرية ثقافية وسياحية وصناعية وزراعية وتجارية، وتوفير المساحات ضمن المواقع كافة، مع تحقيق المرونة الحيوية التي تساعدهم، وتأخذ بأياديهم القادرة على بناء المستقبل، من خلال الاعتماد على عقولهم وسواعدهم وإبداعهم، وإذا فسحنا المجال لهم من خلال تأمين الفرص وتوجيههم إليها، تصبح رهاناتنا عليهم منطقية وعاقلة، فالذي يتحدث عن الأجيال بأنها ضائعة أو فاقدة الأمل والعمل والنجاح خاسر بكل المقاييس، والسؤال المهم: هل هناك فعلاً أجيال ضائعة؟ أم إنها عبارة عن تعبير نطرحه لحظة فقداننا لنظم إرشادهم، أو افتقارنا لتحليل نتائج الحروب ومخرجاتها من آلام وعذابات واضطرابات نفسية، فأجيال الأزمات والحروب تكبر بسرعة، ويكبر فيها كل شيء منفلت، فإن لم نتفهمهم بروح إيجابية، ونقدم لهم أدوات النجاح، ونطوّر فيهم الشغف والإرادة والطموح وحب الوطن، تكن الخسائر كبيرةً، والتباطؤ البنائي ضعيفاً، فإذا استوعبنا فكرة بناء الأجيال، وذللنا المعوقات من أمامهم، انكشفت لهم السبل التي تسرّع من حركتهم، ولا ضير في اعترافنا بأننا اعتمدنا طرقاً تقليدية عفا عليها الزمن في استثمار وتوظيف الشباب الخريجين وغيرهم، ما أدى إلى فقداننا كثيراً من عناصر التطور والتقدم، وأظهرنا أجيالاً من المحرومين من فرص النجاح، بل أسهمنا في إضعاف الكثير من القدرات والطاقات الخلاقة.

هل امتلكنا طبقة من المديرين المخلصين للوطن والمواطن؟ وهل حقاً لدينا صناعيون أو تجار يبحثون عن عمال مهرة وموظفين إبداعيين أو كفوئين؟ إني أتحدث بهذا لأن الحاجة أصبحت أكثر من ماسة، نظراً لوقوعنا في حروب طاحنة، أخذت الأخضر واليابس، وخلفت أجيالاً باحثة عن الحياة من جديد، ولأننا أسكنا في اعتبارها أنها أجيال ضعيفة، والواقع اليوم يظهر أكثر إلحاحاً لمواكبة العصر وما فيه من تقنيات سريعة، تدعونا لتطوير ما نحمله من أفكار تقليدية.

لذلك أتحدث: إنّ الشباب أهم منصات إنتاجية إعلامية لخلق بيئات مواتية تؤهلهم ليكونوا أدوات فاعلة في عملية ارتقاء مجتمعنا، أصبح أكثر من ضرورة لإحداث الفارق الإيجابي كي نتجه نحو الأفضل، نظراً إلى ما يحيط بهذا المجتمع من ظروف قاهرة، تحمل أهدافاً رعناء بحق وطننا والمواطن.

كيف بنا ننظر إلى هذا الجيل الذي يعيش بيننا، وإلى الأجيال القادمة؟ وكيف بنا نستعد للخروج من عالم الماضي والحروب المفتعلة إلى عالم المعاصرة؟ وإذا كانت أهداف العولمة جعل العالم أكثر ازدحاماً واحتكاماً لها، وهذا هو بعينه المؤخر للنتائج الاقتصادية والاجتماعية، وبالتالي تضاءلت الفرص أمام أجيال الشباب، ما يعيد إنتاج الأزمات وظهور موجات من العصبيات والعنصريات الطائفية أو الإيديولوجية التي وقودها الشباب، فإن لم ندرك هذه الحقائق ونعد الاعتبار إلى هذه الشرائح يتحرك الانكسار المسكون في جوهر الشباب، ليزيد في المأساة، بدلاً من أن يسهم في علاجها بعد إشراكه فيها.

أقرأ توجيهات السيد الرئيس بشار الأسد إلى السلطات والقيادات الحزبية والنقابية كافة، بأن تنزل وتتحرك بين أفراد المجتمع وتتعرف إلى أحوال البلاد والعباد حقيقةً لا وهماً، لجمع المشكلات والعودة لإيجاد الحلول بالسرعة الممكنة وضمن الظروف المتاحة، وأن يرى المواطنون نتائج المعالجات، فالشعب لم يعد يحتاج إلى بهرجات وخطابات ومحاضرات، إنما إلى أفعال ونتائج تقضي على العبث والفوضى والتذمّر والفساد الذي يسيء للدولة وللمواطن، وهنا تظهر معاني الإستراتيجيات التي تُرسم وقيمة نتائجها.

كيف بنا نعزز الولاء والانتماء؟ أليس بزراعة فكرة الوطن والمواطنة اللتين إن اتحدتا خلقتا مجتمعاً إيجابي السمعة وعزيزاً في الحياة؟ لأن فكرة المواطنة -اجتماعية وسياسية وقانونية- تسهم في تطوير المجتمعات الإنسانية، وترتقي بالدولة إلى مصاف العدل والمساواة والإنصاف، وتولد روح الشفافية في الأجيال، ما يزيد الثقة بالدولة والوطن الذي أساسه الشباب، وعماده تمكينهم من الحياة فيه، وهذا لا يعني الابتعاد عن الأجيال المتقدمة، التي تقدم الخبرة والمشورة بحكم تراكم معرفتها، فالشباب عماد الوطن ومجده ورفعته، وعندما يستقبلهم رئيس البلاد ويزورهم ويستمع إلى أفكارهم يريد تعميق معارفهم وزيادة حضورهم وتقدير إسهامهم وتحفيزهم على التفاني في أداء الواجبات، وهو في الوقت ذاته يرسل الرسائل إلى جميع الأجيال من الطفولة وحتى الكهولة، فلقاءاته وزياراته ضمن ظروف استثنائية تعني الكثير، أهمها التحضّر لمستقبل ناجح وواعد ولائق، يؤدي إلى اعتزاز المواطن بوطنه، وتعتبر من التكريم الأكثر من مهم، وكلما اهتممنا بالشباب تشكّل الفارق الإيجابي لديهم، ليشكلوا الإضافة للدولة في الشكل الحضاري الذي تمثله، ويدفعوا بالصغار للسير على نهجهم، والكبار للانتباه لأنفسهم وأدائهم، لأن الشباب قادرون على تحمل المسؤولية والثقة بهم، ولذلك نجد أن الجنود البواسل من جيشنا العظيم شباب يؤدون الأمانة باقتدار، ويصنعون تاريخاً مجيداً ناصعاً، ولقاء السيد الرئيس بمواطنيه على اختلاف شرائحهم ومذاهبهم وعقائدهم يظهره بأنه مدرسة في وطن، ووطن في مدرسة، وعندما يوجه الشباب يوجه الجميع، والغاية دائماً من كل هذا تصالح المواطن مع وطنه، وإن حدث خلاف بينهما فلا بدّ لقائد رئيس يمون على الجميع؛ أي على الوطن والمواطن، لأن أي خلاف بينهما يعني الآلام للوطن، وحينما يتألم الوطن يتألم المواطن، فأي توجيه هو حالة إصلاح، والشباب دائماً يجب أن يكونوا بصحة فكرية وجسدية، لأنهم الرابطة الأهم بين المواطنين والفاعلين على أرض الوطن، وكلما عالجنا قضايا الشباب ورسخنا تفاعلهم، نجح الوطن بكامل أبنائه، بعد تزويدهم بقيم التسامح والتفاهم والحوار الخلّاق.

هل برأيكم تجاوزنا الحرب الإرهابية التي أسقطت الكثير من شبابنا وخطفتهم على حين غرّة؟ بينما استمر المتابعون منهم في دحر بقايا الإرهاب حتى اللحظة، وإذا دُحر الإرهاب، فهل انتهت الحروب الاقتصادية والاجتماعية وأهمها حروب إصلاح البشر قبل إصلاح الحجر؟ ربما التكتيك أخّرَ بعض الحروب، لكنه يعمل ضمن إستراتيجية أكثر من دقيقة، لتظهر سورية بأجيالها وبشكل خاص شبابها منتصرةً على الصعد كافة، فآفة الإرهاب وإن أربكت سورية، وربما أخذتها على غفلة، إلا أننا نشهد اليوم كيف تخرج منها، ويبقى العالم بأكثريته يعاني مخلفاتها، واليوم يتم التوجه إلى كل أسرة سورية شابة، أو تمتلك شباباً لتكون مطالبة باستحضار الوعي والانتباه إلى ما يتفاعل معه أبناؤها وتوجيههم للبناء، وحثّهم على النجاح، والدولة مطالبة أيضاً بتوسيع مراكز الوعي والتركيز الإعلامي والثقافي على هذا الجيل، واستمرارها بتطوير بواعث التحفيز عبر فتح ورش عمل تنويرية ذات أبعاد أخلاقية ومناهج علمية، تولّد فيهم أسئلة تبدأ بلماذا، وتتوسطها كيف، وتنهيها بها.

أنا ذا أعمل، أنتج، أشارك، أحب أسرتي ومجتمعي ووطني، وأخلص لهم، وأشارك في تحقيق تنمية وطني، تعالوا جميعنا نستقِ من فكر السيد الرئيس الريادي المتفرّد وما يهدف إليه من أحداث تحولات جديدة، يضيفها إلى مسيرة وطن، وكيف به يتقن صناعة المستقبل، ويحصد الإنجازات التي يريدها للجميع من أبناء وطنه وأمته، فرؤيته ينبغي أن تتحول إلى مصادر للإلهام، وأهدافها إحداث مزيد من التفاعل البناء بين أبناء المجتمع السوري أولاً، والعربي والعالمي ثانياً، وأيضاً ربط المبدعين بشبكة من العلاقات مع أصحاب الفكر الخلاق، والاتجاه إلى الشباب عماد الحاضر والمستقبل، ومن كل ما سرت إليه.

أرى أننا مكلفون، وهذا يجب أن يكون شرفاً كبيراً وأمانة عظيمة، نحن أبناء سورية المتقدمين نحمل شرف العمل لأجيال الشباب والأخذ بأياديهم إلى الأمام، إلى بناء سورية الوطن والإنسان.

د. نبيل طعمة